سحرة العصر

لا ندري قاتل ام ساحر

لم يرَ قضاة هنري ديزيريه لا ندري فيه سوى المجرم العادي سوى القاتل يسفك دم فرائسه ليسد مطامعه الوضيعة من الاستيلاء على أموالهن وحليهن وما ملكت ايديهن . ولكن ذو الحيلة لم يعدم كل عون ويفتقد كل عطف . فقد كان اثناء المحاكمة يبهت بجلده وشجاعته واصراره على انكار الجرائم العظيمة المسندة اليه . وشدته في الدفاع عن نفسه الى كثير من العقلاء والمفكرين شعوراً آخر هو ان الرجل برئ الساحة دفعت به الى رأي ان العدالة ظواهر خلابة خادعة بل كان يبعث اليوم الاحترام والاعجاب يرون فيه يخبئاً ما وصفه به باحث كبير : « انسان مغلق لا تنفذ الافهام اليه . وان هذا الشعور الذي يبثه يقاوم كل مصادمات الحياة اليومية » .

بل ان لاندري لا يزال الى اليوم رغم ما يحوط ذكراه من وصمات العدالة وامتهان العامة يثير حول شخصه وخفاياه كثيراً من ضروب الجدل والبحث العميق اذ يريد اولئك الذين اعتقدوا براءته ان يظفروا بحل لذلك السر الخفي الذي ذهب بذهاب صاحبه . وقد تقدم احد اولئك الباحثين برأي جديد في ذلك الموضوع استخرجه من وقائع القضية ذاتها . واذاعه في الصحف الفرنسية . واليك خلاصة هذا الرأي :

***

سقطت رأس لاندري في ساحة سجن فرساي في ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٢ . تنفيذاً للحكم الصادر عليه من محكمة جنايات السين والوار لادانته في ارتكاب عشرة جرائم قتل مع سبق الاصرار والتعمد . على ان التحقيق رغم ما تخلله من شديد التنقيب والبحث لم يظفر من آثار هذه الضحايا العشر الا ببعض عظام صغيرة متكلسة ولم يثبت مع ذلك بصفة قاطعة انها من عظام القتلى .

كذلك لم يسفر التحقيق مطلقاً عن أي دليل مادي مباشر يثبت احدى الجرائم العشرة . ولم يكشف مطلقاً عن مصير هذه البقايا البشرية وعن الظروف التي زهقت فيها هذه

الأنفس . هذا فضلاً عن ان هذه العظام الكلسة التي وجدت في منزل المتهم بجامبية قد ثبت انها قد احرقت بعد الوفاة بمدة طويلة . اذ لا يعقل ان يدفن الجثث فريسة بعد القضاء عليها . ثم يعود بعد زمن فيستخرج عظامها ليتمم احراقها .

ام هل كان لاندري يخفي فرائسه في [illegible] لقد صرف المحققون جهوداً كثيرة في تفتيش المستندات والمنازل الحربية لم تسفر مطلقاً عن شيء .

أم هل كان يدفنها قد يمكن ان يقال انه يخفي جثة او اثنين ولكن ليس من الصعب بل من المستحيل ان يخفي القاتل عشر جثث لم يكشف لها عن قطعة عظم . ولا يظهر التحقيق الدقيق بشيء من الاثر إلا لدى العظام المشوهة الكلسة .

*****

واذا تأتي الى تحويط ذلك القاتل العجيب الذي قبض على فرائسه في ذلك النحو المدهش فكان لاندري رجلاً متوسط القامة اصلع رحيبية الامام بشدة كأنما يهم بالوثوب من وجهه لحية سوداء ويضطرب عن هيبة ووقار [illegible] التي منحته سحراً خفياً قد كانت نظراته اغرب ما في محياه . فقد كانت تعرب عن توقد وعزم وترسل اشعة جذابة بل كانت تحتوي من ضروب التأثير والسحر ما لا يمكن ادراكه وشرحه وقد شبهها صاحب هذا الوصف بنظرات الافعى وذكر [illegible] آخر انها نظرات سموم الريح والواقع ان احدى شهود الاثبات قد ذكرت في شهادتها ان لاندري اعتاد ان ينوم احيانا وهي احدى الفرائس .

واما عن صفاته المعنوية فقد كان لا يجهل خارقاً في ملاحظته شديد [illegible] والرزانة جم الرقة والادب وهي خلال ترجع كلها الى نشأته الطيبة . وقد حدث انه ساعة مثوله امام آلة الاعدام رفض دعوة الكاهن لحضور القداس قائلاً انه لا بد ان يعامل اولئك السادة مؤونة الانتظار ويريد وكيل النيابة الجلاد ومن معهما . ولم تبد على ملامحه ذرة من الألم او الارتياع .

*****

اذا كان القانون نستنتج من ظروف القضية وضآلة الادلة التي تقدمت على ادانة لاندري انه لم يكن قاتلاً فان القانون نستنتج انه كان بريئاً . وانه ذهب ضحية ظواهر

خادعة وآية العدم والصمت الابدي على ان يبوح بسره .

واذا كان لاحد ان يسخر من ذلك الرأي فلن يسخر منه اولئك الذين رأوا لاندري وشهدوا محاكمته . واعجبوا بشجاعته ورزانته وقدروا احتجاجه وانكاره ووزنوا اقواله وتأثروا بحركاته ونظراته . فقد اجمع هؤلاء على ان كل عبارة او حركة تدرب من ذلك الرجل العجيب كانت تنم عن الاخلاص والصدق . وان اصراره على انكار الجريمة كان مؤثراً لا يشوبه رياء او مواربة . لم يكن لاندري يرمي بانكاره الى انقاذ حياته . ولو استطاع لعوقب بالنفي المؤبد وهو ما كان يروعه باكثر من الموت . واذا كان مع ذلك قد اصر على الانكار حتى آخر لحظة فذلك لانه كان يقول الحقيقة ليس غير . وقد اجمع كل الذين اقتربوا منه على الايمان بصدقه . والاعتقاد ببراءته

لم يقتل لاندري اذاً . فما الذي حدث لهاته الضحايا العشر . لاولئك النسوة التسع ولذلك الفتى وقد اتهم لاندري بقتلهم جميعاً . قال لاندري لمحامية الاستاذي مورو جافيري الذي بذل جهوداً خارقة لانقاذه من العدم « انا كنت حيث هن » فهن على ما يرام . وسوف يعدن » . وتحدث بعضهم عن سفرهن الى اميركا الجنوبية ولكن ذلك الرأي كان يحتم وجود اثر لهن في العمور . يكون على الاقل من صورهن الفتوغرافية على ان هنالك رأياً معقولاً جداً . ممكنا جداً

كان لاندري بلا ريب منوماً بارعاً وافر القدرة . وقد كان كباقي اولئك الذين يوفقون الى العبور اسرار الخفاء . يأبى الاعتقاد في الامور الخارقة ولا يعتقد الا في القوى الطبيعية التي تخفى على العامة والتي تمكن الانسان اذا احسن ادراكها وتسخيرها انه يعمل بها قوة هائلة . وقد قال عنه محاميه : « لقد كان لاندري آخر حلقة فصل بين اصحاب المادة والروحانيين » ثم حدث عقب الحكم على لاندري حادث مرعب هو ان لاندري كتب الى النائب العمومي من سجنه في يومه الاخير كتاباً ضمنه فقرة سحرية عن قضاته ثم لم يمض على ذلك شهر حتى توفي السيد بولار رئيس الهيئة التي قضت باعدامه وصعدت روحه لتلحق بروح المحكوم عليه

كان لاندري اذاً يعرف اسرار بعض السحر ولوطا او عبارة اخرى كان يستعمل التأثير على العقول باتساع الارادة فلم يكن اسهل عليه من ان يقوم فرائسه وجهاً لوجه . ثم ينتزع منهن كل اثر للفكر ويبعث بهن الى عالم شاسع يهمن فيه وذلك بانه يجعل منهن

امواجاً ويسمع عليها ارواحاً اخرى . فاذا ما هرعت من كل ما يمكن من الان قليلا ،
والالات والحل العقلية والاحساس عنه وقع بعيداً الى الظاهر فمدحي في سكره ،
وقد يكون من هذه الضحايا من يدخل الان في ملجأ من الملاجئ او يسجن
في مستشفى المجانين ، او يسكن في بيت ، وقد تنيل عدم السبيل لمنعهم البالغة ،
او قصور بنا فيبين من خلال تلك المكيدة ، بدلا من عدد مدة تكررت عليهم

لنا الاتصال الوحيد ، ذلك الذي يرفرف من وقت الى اخر في وسعه دون سواه
ان يعيدهم الى حياتهم السابقة ، وقد وقع به الفداء الى عالم الاجنبية الى ذلك العالم
الذي ما زال يحدق بهم ٠

يقول كاتب هذا السطور : وقد دهشت الى حد لا احمل كل هذه الخواطر في
الامكنة التي كانت شاهدة حياة لاهل الاشرى ومشاربهم وقد تسرب الضوء بين الاشجار
القصيرة التي تفتح فيها الربيع من ريحانه وازهاره ، وبانت اغرب الاعشاب كثيبة على المياه
الراكدة الساكنة .

وكانت الشمس شبه مدنية تطل من خلال الاوراق والاغصان المتشابكة وقد ساد وهدأ
الى حد كأنه الحق قد صمت اي واحد من هذه الاشباح فتنفس كأنما تلمسه الاغصان
والاعشاب ، وذلك عند ما تحدثت الى القلم في الاكواخ الرطبة . فدهشت في اثر اخر
فاتلمته لتعدي الادخال .

فغادرت مبادرة هذا المكان لاهل الاشباح كمن الاذاع ، ومع ذلك فاقسم
بأنها لا تكن اشباح (حيالية) . المطرانات القصانية